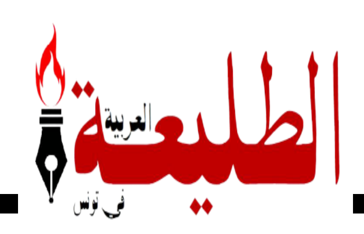
منظمة
الطليعة
العربية
في تونس

هيئة التأصيل والتطوير النظري

الوحدة العربية
عقيدة البعث
ونظريته السياسية



تونس 2013



الوحدة العربية

عقيدة البعث ونظريته السياسية

انطلق البعث منذ وثيقته العقائدية الأولى (دستوره) من التأكيد على الرابطة العربية، وتكثيف شعور العرب بشخصيتهم التاريخية، وهويتهم القومية، وخصوصيتهم الإنسانية، بما حول ذلك كله إلى عقد اجتماعي قومي، ولاحم عروبي متين للمجموعة البشرية العربية التي عاشت ما بين جبال طوروس وزاغروس شرقا وشواطئ المحيط الأطلسي غربا.

وتمسك البعث- بأبعاده الفكرية والسياسية- بميزة العراقة التاريخية لوجود الأمة العربية منذ ظهور التاريخ الواعي، والمكتوب، وبأن سيرورة الأمة لم تنقطع- رغم تعرضها للغزوات الاستعمارية بصورة دائمة - وأن نهضات الأمة العربية قد توالت عبر كل التواريخ لتعبر عن قدرتها على التواصل، وعلى تجديد أشكال وعيها ، وقيمها بما تبقى معه مقتضيات تحررها القومي والاجتماعي الإنساني مواكبة لحركتها في جميع مراحل تاريخها القديم والحديث والمعاصر.

وفي فترة ظهور البعث التي رافقت النضال الجماهيري الشعبي ضد معاهدة سايكس- بيكو، وما نتج عنها من احتلالات أوربية للوطن العربي استلهم التجربة العربية في النضال ضد الوجود الاستعماري برمته منذ سقوط آخر معقل للدولة العربية القومية (إمارة سيف الدولة الحمداني في حلب) حتى خروج الاستعمار الأوربي بنتائج الحرب العالمية الثانية 1945، وانهيار النظام الاستعماري الكلاسيكي عامة.

وبناء عليه تهيأ للبعث الإدراك الجيوسياسي للحركة العربية التي لم تنقطع في نضالها القومي التحرري لتحقيق ذاتها، وتجاوز حالة استعمارها، وطرح مشروعات خلاصها، وتقدمها وتواصلها الحضاري الإنساني. وبهذا استكنه البعث جوهر الرابطة العربية التي حملت روح الكفاح العربي ضد العثمانيين في الثورة العربية عام 1916، خاصة في مبدأيها: الاستقلال ، والوحدة العربية، وفي شعاراتها ، وعلمها الذي يرمز إلى الدولة العربية القومية في مراحلها: الأموية، والعباسية، والفاطمية، وكذلك ضد الأوروبيين وما تكثف فيها من إحساس عربي عميق بوحدة الوجود على الأرض العربية، ووحدة المصير، ووحدة النضال القومي الحامي لهما.

إحياء المشروع النهضوي :

وقد دق البعث – في الإرهاصات الأولى لنشوئه – ناقوس الخطر لأمته العربية لينتبه الجميع إلى خطورة هذا التواقت بين تجزئة الوطن العربي، وأهداف قيام الكيان الصهيوني على أرض فلسطين العربية ، وما سوف يستتبعه من تحديات جديدة ، ومجال حيوي تحرم معه الأمة من استثمار استقلالها، أو التفكير بعودتها إلى وضعها الطبيعي التاريخي في وحدتها ودولتها القومية .

وتأسيسا على ذلك فقد جعل البعث مهماته القومية تتوجه نحو إحياء مشروع النهضة العربية الذي عكس روح اليقظة العربية في نهاية القرن التاسع عشر ضد الاحتلال العثماني، وتواصل يحرك مفاهيم الصراع ضد الاستعمار الأوربي وليصبح الآن مسؤولا عن استنفار العروبة ضد المطامع الصهيونية المدعمة من الإمبريالية العالمية التي تهدف إلى احتلال فلسطين وإقامة الكيان العازل للعرب مشرقهم عن مغربهم حيث تصبح معه غايات التوحد العربي صعبة ومعقدة جداً

وبادئ ذي بدء تحقق للبعث إبان ظهوره – حزبا قوميا شعبيا انقلابيا في أربعينات القرن العشرين المنصرم أن يحرض المفاهيم المحركة لليقظة الجديدة، وينبه الوجدان القومي، ويصعد سجال الرواد العرب في كيمياء قومية تحول الفكرة القومية العربية من مجرد فكرة ثقافية ، وهوية تاريخية اجتماعية، إثنية إلى عقيدة نظرية، وحركة سياسية تمثل عامل الخلاص للأمة العربية من محيطها إلى خليجها.

وحدة النضال القومي:

ومن المعروف – عبر تاريخ الحركة العربية في الصراع ضد مظاهر الاحتلال الأجنبي للأرض العربية – أن الثورات الوطنية في كل قطر كانت تنفجر، وتشد إليها مشاعر العرب الآخرين في أقطارهم كافة، الأمر الذي حول ثورة كل قطر ضد استعماره إلى ثورة

كل العرب فيه، ما استحصل منه البعث، وهو يرسم إطاره الإيديولوجي– أن وحدة النضال القومي لا شك بأنها الماهية الحقيقية للتحرر العربي قديما وحديثا وإن جعل القضية القومية عقيدة نظرية سيكون الحل الأكثر موضوعية للمسألة العربية في الصراع ضد الاستعمار القديم ، والجديد ، وخاصة البوادر الأولية لظهور الكيان الصهيوني .

وعلى هذا الأساس رأى البعث أن يجعل من نفسه حزب الوحدة العربية لما تمثله الوحدة العربية من ثورة حقيقية في حياة العرب المتطلعين نحو إنجاز مشروعهم النهضوي الاستقلالي، التوحيدي، التحرري. ومنذ مؤتمره التأسيسي الأول 1947، أعلن البعث عن شعاره : أمة عربية واحدة ذات رسالة خالدة. وأن أهدافه هي : الوحدة العر بية، والحرية، والاشتراكية.

وكان طبيعيا في فترة ظهور البعث أن يواجه - وهو يمثل التيار القومي الجديد– الميراث الموجود للتيارات السياسية العربية التي تشكلت في فترة ما بين الحربين العالميتين (1945-1918)والتي تماهت عقائدها السياسية، والدينية بما هو خارج الإطار السياسي للفكرة القومية العربية، حتى وصل بها الأمر إلى أن نعتت ذاتها بأنها تيارات لا قومية، وأن القومية عقيدة تقليدية لم تعد تمثل رافعة واقعية للنضال العربي وأهدافه القومية، والإنسانية.

البعث حزب العروبة:

ومن بدهية الحال أن يعبئ البعث الفراغ القومي الحاصل في المرحلة العربية– آنئذ– ويعيد تشكيل قوى الأمة العربية بروح الفكرة القومية كعقيدة تحرر ، وخلاص قومي، واجتماعي. ثم يخلص القومية العربية ذاتها، مما ساد فيها من مفاهيم تقليدية حولتها– مع هدف الوحدة– إلى أداة ديماغوجية للأجهزة السياسية التقليدية آنذاك. و بهذه البداية وضع البعث نفسه في الواجهة السياسية للكفاح العربي، فأصبح الحزب العربي المناهض فكرا وممارسة للوجود الأجنبي على الأرض العربية، وقد نجح البعث في حمل الروح القومية كرسالة، وعقيدة إلى ميادين الكفاح العربي ارتباطا بهدف وحدة النضال القومي، وتحقيقا له .

ومن هذا الهدف الأساسي في عقيدة البعث القومية، وحدة النضال العربي، أطل البعث على النتائج الطبيعية لهذه الوحدة كأهم عامل من عوامل التحرر العربي القومي السياسي، والاجتماعي الديمقراطي من منظور استدراك الغايات الجيوبوليتيكية للتحدي الخارجي الاستعماري للوطن العربي، وارتباط هذه الغايات بمصالح المستتبعين في الداخل العربي للعامل الخارجي المذكور.

والمخصوص في مسألة القومية العربية، وتجسيدها الواقعي هدف الوحدة العربية الذي لابد أن يبدأ من وحدة النضال العربي المعادي للاستعمار، ومن وحدة الجبهة العربية داخل كل قطر، ومن وحدة المصالح العليا للعرب الموجودين في الأقطار التي استحدثتها سايكس- بيكو كافة ، هو أن الوحدة ليست مجرد هدف يتحقق بذاته ولذاته بمقدار ما هي هدف الأهداف للأمة العربية فبه ونعمت، ستكون الحرية السياسية، والاستقلال والسيادة ، والهوية، والشخصية للفرد العربي، وللمجتمع، وبه التحقق الكامل للذات القومية التي دونها لا يمكن للإنسان العربي، أو للأمة العربية أن يمارسا وجودهما الإنساني الكامل، أو أن تكون لهما الخصوصية المحترمة في عالم يمارس عقلية القوة شرعة وحيدة في العلاقات الدولية، وبماذا يمكن أن يصنع العرب قوتهم إن لم يحققوا وحدتهم ؟!!

بوحي من هذه الرؤية للوحدة العربية كثورة حقيقية في مكونات الوجود العربي ماضيا وحاضرا ومستقبلا جعل البعث ترتيب أهدافه بعدها على صورة التحقق المنطقي، الموضوعي، الممكن لها. فالوحدة تتحقق عندما تنتصر الإرادة العر بية القومية الوحدوية على عوامل التفرقة، والتجزئة، والتخلف ، والتبعية، وبتحققها ستزول الاستراتيجيات الاستعمارية من المنطقة العربية، وأشكال الوجود الأجنبي كافة اقتصادا وسياسة وثقافة وبزوال ذلك كله تكون الحرية السياسية القومية قد أنجزت ، ومعها بالضرور ة التاريخية، وفق عوامل الوجود الواقعي للعرب ستنجز الحرية الاجتماعية حيث تكون إرادة العدل الاجتماعي قد استتب الحال لها، ومن إرادة العدل الاجتماعي تتهيأ شروط بناء الديمقراطية العربية اجتماعيا وسياسيا لتصبح الدولة العربية مأسسة، وقبالتها المجتمع العربي الديمقراطي الموحد بمؤسسته كذلك.

وعلى هذا المنظور تبرز أمامنا قوة المقولة الفكرية التي أكدت أن وحدة الأمة ليست نظرية أو اجتهادا جاءت به الأمة، بل هي قانون طبيعي وجدته الأمم أمامها ، أحست به عفوا ورسخته عقلا وأصبح على إمتداد الحياة الإنسانية الناظم البديهي للعلاقات بين أبناء الأمة الواحدة وإن عملت ظروف شاذة طارئة عكس اتجاهه.

ومن هنا لا نجد أمة في العالم جزئت إلا وناضلت، أو تناضل من أجل تطبيع ذاتها بتحقيق وحدتها. والمطلوب منا كأمة عربية أن نطبع ذاتنا بتحقيق وحدتنا ، وما دمنا في وضع مجزأ غير طبيعي فستظل مشكلاتنا تتكاثر ...

من هنا نتلمس سر إعطاء البعث قضية الوحدة تقدما ورجحانا معنويا على أهدافه التالية، حيث إنه اعتبر دوما معالجة المشكلات الحيوية للعرب، جزءا أو كلا يجب أن تنطلق من مسلمة الوحدة، فالوحدة حتميا سترافق نضال الشعب العربي في سبيل الحرية،

وديمقراطية العدل الاجتماعي، وتوجهه الوجهة السليمة للتحقق الكامل. وعليه فآمال الوحدة لدى الشعب العربي قد جاءت– في الحقب التاريخية كافة – ضمن أفق قومي صحيح، ومعبرة عن النزوع العربي للاستقلال، والنهضة ، والحرية.

ومنذ أن اعتبر البعث أن الوحدة القومية تمثل أهم العوامل الحاسمة في تعميق كل تغيير حداثي في المجتمع العربي، باعتبار أن مشروعات القطر العربي في الحرية، والتقدم على حده لا يمكن أن تبلغ من العمق، والشمول ما لم تتحقق في ظل الوحدة، أصبح المنظور العلمي، والعقلاني والمبدئي يطبع العقيدة السياسية للبعث، ويوضح الطبيعة المركبة لتحقق كل هدف عربي ، إذ لا يمكن لأي هدف عربي بدءا من الوحدة إلا وسيكون له ظلاله الإيجابية على تحقق الهدف المتلازم معه كالحرية ، وديمقراطية العدل الاجتماعي.

تلازمية أهداف البعث:

فالأهداف الكبرى للعرب في وحدتهم، وحريتهم، وديمقراطية العدل الاجتماعي ستبقى تحققاتها، أو تجليات هذا التحقق تنطلق من الدورة السياسية للأمة، ونقطة المركز فيها قضية الوحدة،ورابطتها القومية. وكل مجافاة للهدف المركزي الوحدوي سيكون السبب الحقيقي وراء هذا التقطع في تحقيق الأمة لذاتها.

وما كان ولا يزال يداخل قضية الوحدة العربية في إطارها العملي التاريخي هو موضوع تحولها إلى حلم رومانسي لدى بعض النهضويين، أو من الذين يحسبون على التيار القومي . فالحلم - رغم مشروعيته في الوحدة هدف الخلاص العربي - يستلزم الأمر معه فعالية الربط السياسي بين هذا الحلم، والواقع العربي المعيش ، لكي يصبح الحلم دافعية الضمير القومي الحي نحو الوحدة، والفاعلية السياسية المنتجة هي الطريق الأسلم للتحقق.

وفي تحليل البعث لتلازمية أهدافه القومية انطلق من معادلة الترابط الجدلي بينها، هذه المعادلة التي تستخدم نظرية الترابط ، والشمول والتأثير المتبادل . فأهداف البعث محددة. كل هدف صريح، واضح، وله عناصر تحققه إلا إن الهدف ذاته يتحقق بنفسه، ويتحقق بغيره كما يحقق غيره معه في المرحلة التاريخية عينها. وبذلك قدم البعث أهدافه على أن كلا منها يمنح الآخر من طاقته، وزخمه ، وكلا منها يفتح أمام الآخر آفاقه الواسعة وأبعاده العميقة فيحققه ، ويتحقق معه، في عملية تاريخية واحدة. فكان هذا التركيب الجدلي الموضوعي للأهداف أكبر القوانين المساعدة أمام حركة التحرر الوطني العربية، ولما يزل.

وفي إطار هذه الترابطية للأهداف القومية للبعث، وللأمة العربية جمعاء، أصبح القول ممكنا بأن البعث قد أنزل دعوة القومية العربية من سماء الارستقراطية العربية، إلى أرض

الشعب لتتحول إلى قوة دافعة تجعل من هدف الوحدة قضية يومية، حياتية، ومحركا أساسا في نضال الملايين العرب.

البعث نواة الأمة الموحدة:

وتطابقا بين نظرية البعث القومية، وهويته السياسية العروبية تصور الحزب أن يحول من نفسه نواة للأمة العربية المطموحة وحدتها بحيث يكون تنظيمه على مستوى الوطن العربي، انسجاما مع فكريته بالأصل في أن الحل الجذري لمشكلات الوطن العربي هو بالعمل العربي المنظم، والموحد.

وحين نفسر هذا السلوك القومي للبعث لابد أن نربطه بانطلاقته الشجاعة من المفهوم الأصيل للعروبة الذي رفض معه رفضا مطلقا أشكال الإقليمية، والتجزئة في الفكر، والممارسة كافة، وجعل من نضاله اليومي مهمازا يدفعه نحو المزيد من مقاومة التشرذم العربي في النظرية، والعمل.

ماهية النضال الوحدوي:

وبالتحليل المنهجي، المضموني لمنطلقات البعث في مجال هدف الوحدة نتوقف عند جوانب إيجابية في ممارسته الوحدوية، مثلما نتوقف عند بعض الجوانب التي اضطر البعث فيها على استخدام اليقينيات استخداما أكثر عصبوي من اللازم، آية ذلك نجدها في:

أولا : إن وحدة النضال العربي هي الطريق إلى الوحدة هذا صحيح باعتبارها تصفي الشعور بالعزلة، والتجزئة، والإقليمية إلا أنها لن تتحول ذاتيا إلى أداة لإقامة الوحدة. فلابد من تحديد الدور السياسي الوحدوي للأداة المتمثلة بمجموع الأمة وقواها الاجتماعية، والسياسية، والروحية.

ثانيا : لقد أكد في الأدبيات الأولى له على أن الوحدة العربية ليست مجرد تجميع، ولصق لأجزاء الوطن العربي، بل هي التحام فصهر لهذه الأجزاء، واذا كانت هذه هي الرؤية الوحدوية – في زمانها في النصف الثاني من القرن العشرين ,المنصرم– فإن واقع الحال العربي الراهن لم يعد يحتمل هذه الرومانسية في الحلم الوحدوي، ولذا ستكون الوحدة في التنوع العربي الراهن هي شكل اتفاق العرب، وصورة ما يأتلفون عليه دون تحديد مسبق، من منطلق الحرص على التحقق الوحدوي بأية صيغة، أو نسبة كانت، فالوحدة أهم جيواستراتيجيا من أية صيغة تفرض لها، أو شرط يوضع لتحققها.

ثالثا : ربط الحزب بين الوحدة ومفهوم الثورة بكل أبعادها، ومعانيها، ومستوياتها، على قاعدة أنها قضاء على مصالح إقليمية ترسبت عبر قرون، ومصالح طبقات، وقوى خارجية تعارض قيامها، وتقف بوجهها. وانصب تصور البعث على مفهوم الثورة في الوحدة حتى يعين لها أدواتها الموضوعية – آنئذ – متمثلة بالحركات الثورية الشعبية الطلائعية، سوى أن المجرى الموضوعي للنضال العربي المعاصر، لم يعد يكتفي في حراك هذه الطلائع الشعبية المنظمة، إذ غدا هذا الحراك عاملا من عوامل الوحدة فقط. وحال العرب الراهن بتحدياته الجسيمة– خاصة بعد احتلال العراق إضافة لفلسطين العربية أصبح يستدعي أخذ مجموع الأمة بعين الاعتبار، فالوحدة ثورة قومية في واقع وحال الأمة العربية جغرافيا واستراتيجيا، وتمثل الكتلة الهامة من الطاقة التي بتوجيهها توجيها سليما نحقق الذات القومية.

رابعا : رجح البعث – في أدبياته الأولى– هدف الوحدة على بقية أهدافه، وانطلق منه في تحريض الوجدان العربي، واعتقد أن صحوة الضمير العربي، أو يقظته ستزيل الحدود، والفوارق العربية مباشرة.

هذه الأطروحة لا شك فيها من الناحية الأخلاقية ، والتاريخية، لكن من المتطلب اليوم إضافة لذلك هو أن يحدد البعث الجانب المعرفي اللازم للمشروع القومي، التوحيدي الذي تبناه، ولا يزال يمثل به الطيف الخاص بمجمل عقيدته القومية.

خامسا : إن عدم التوافق العربي على الجانب المعرفي الموضوعي المؤدي إلى تحقق ممكن للمشروع الوحدوي– الذي حمل البعث عقيدته– كان أحد الأسباب المعتبرة وراء تعثر الأسس التي اعتمدت للتجارب الوحدوية التي حصلت منذ وحدة سورية ومصر عام 1958 إلى مشروعات الاتحادات الثنائية ، والثلاثية، والرباعية التي حدثت في العقود الأخيرة من القرن العشرين المنصرم.

ولابد أن تكون مهمة هذا الجانب المعرفي الموضوعي لأساليب تحقق الوحدة العربية، أو الاتحادات في عصرنا الراهن محصنة للعقل العربي ذاته من الشك بهدف الوحدة وهو هدف الأهداف للأمة العربية.

سادسا : إن بدايات البعث، وأشكال نضاله الأولى ميزته بالاهتمام الكبير بالتوعية القومية وبالتركيز على الوحدة أكثر من حدود النشاط التوجيهي لها، بهدف تأكيد أهميتها، واستحقاقها من أجل تدعيم أي مطلب قومي آخر، لكن هذا التركيز قد اتسم بالطابع المطلق ، وحول الانفعال إلى منطلق. أما في الظروف العربية الراهنة فالمستوجب هو الشكل الأكثر عقلانية في التداول القومي الوحدوي، حتى تتوافر الظروف العملية والواقعية لتحقيق أي شكل من أشكالها، أو تحقيقها كاملة إن أمكن ذلك.

سابعا : بالنظر لعدم تبني التيارات السياسية، والدينية – التي سبقت البعث في الظهور على مسرح الحياة السياسية العربية – للفكرة القومية كعقيدة، ونظرية عمل سياسي كان على البعث – في تلك الآونة من التاريخ – أن يعطي اتجاهه القومي نوعا من القداسة تعويضا عن المجابهة الحاصلة من التيارات المعنية من ناحية، وردا على ما أقدمت الرجعية العربية عليه كي تجعل النضال القومي ستارا لأغراضها من ناحية ثانية.

وفي تلك الأثناء نجح البعث في جعل التيار القومي القوة السياسية الأساسية في المعركة العربية ضد الاستعمار والاستتباع السياسي له. كما جعل هذا التيار المعني القاسم المشترك الأعظم بين جميع الأحزاب، والهيئات التي تعمل في الحقل العربي. لكن هذا النجاح قد اضطر معه البعث إلى إعطاء القومية العربية مفهوما مثاليا لا يتطابق تماما مع العلم والعملية في نظريته الإيديولوجية التي يبنيها لبنة، لبنة مؤكدا – وهو في مرحلة التوعية القومية – على قداسة الارتباط بالعقيدة القومية كخلاص للجميع.

المضمون الاجتماعي للحركة القومية العربية وللوحدة العربية كتجسيد عملي

لم تكن الوحدة نظرية بحاجة إلى إثبات بمقدار ما مثلت الواقع الذي يحرك أعماق الجماهير العربية من الخليج إلى المحيط . أما الذي تستحق الحاجة لتحديده هو المضمون الاجتماعي لحركة القومية العربية، ثم للوحدة العربية باعتبارها الإطار العملي والتجسيد الواقعي للقضية القومية العربية.

لقد أكد التطور الواقعي للنضال العربي في الفترة التي وضع فيها البعث بعض منطلقاته النظرية (في ستينات القرن العشرين المنصرم) الطابع الاشتراكي، والشعبي، والثوري لمعركة الوحدة العربية حينما اصطدم هذا النضال القومي آنذاك بالاستعمار خالق التجزئة، ومكرسها استمرارا لنفوذه واحتكاراته في الوطن العربي. كما اصطدم النضال ذاته بالإقطاع كأسلوب إنتاج قديم، وكطبقة سياسية تابعة للاستعمار ، وأخيرا اصطدم ذلك النضال القومي بالبرجوازية الوطنية التي نمت قطريا وحولت التناقضات بينها ، وبين برجوازية الأقطار العربية الأخرى إلى تناقضات إقليمية بين قطر وآخر.

لذلك كان على البعث أن يناضل ضد هؤلاء جميعا من أجل إزالة العراقيل التي وضعوها أمام الوحدة القومية. ولهذه الأسباب مجتمعة أضحت الحركة القومية العربية قضية جماهير العمال، والفلاحين، والبرجوازية الصغيرة، والمثقفين الثوريين، وأصبح الطريق إلى القومية العربية هو طريق العرب نحو الاشتراكية بمفاهيم ذلك الزمان.

أما القضية القومية وإطارها العملي الوحدة العربية فتأتيان اليوم ضمن أفق تاريخي متغير اقتضته الظروف التاريخية التي استجدت بفعل المتغيرات الدولية على حركة النضال العالمي ضد الاستعمار، وضد ما كان يسمى بالصراع الطبقي على الصعيدين: الدولي، والوطني، وضد الطبيعة التقليدية للأدوار الاقتصادية، والسياسية لطبقتي الإقطاع والبرجوازية في كل بلد. ومن المعروف أن عالم المتغيرات الدولية، وما تلاها من ظهور حقبة العولمة للنظام الدولي كآخر مرحلة من تطور النظام الليبرالي الإمبريالي قد غير في خارطة القوى الاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية، والثقافية ليصبح كل بلد من بلدان العالم النامي بالقوى الاجتماعية، والسياسية، والروحية فيه- مستهدفا باختراق السيادة، وإلغاء الهوية وإنهاء دور الخصوصية الوطنية له، والضغط عليه بغاية إدراجه في التنضيد الأممي الجديد الذي تتحقق معه تابعية كاملة لقطب العولمة الوحيد المهيمن أميركا.

وإزاء تحد من هذا النوع لمجمل الحياة الوطنية والقومية لكل بلد من بلدان العالم النامي لابد أن تأخذ الحركة القومية العربية – في المواجهة الجديدة على قاعدة نكون أو لا نكون- أبعادا جديدة ي وأطيافا جديدة يتغير معها المحتوى الاجتماعي التقليدي لها، ولهدف الوحدة، فيظهر البديل التاريخي لهذه المسألة الهامة متمثلا بمجموع الأمة.

وبناء عليه لم تعد المسألة الطبقية تملك الظروف التي كانت تستدعيها في مرحلة العالم قبل المتغيرات الدولية. مع العلم أن أهم ما اتفق عليه في جو المتغيرات الدولية بين القطبين الأعظم آنذاك (منتصف ثمانينات القرن العشرين) هو تأجيل مسألة الصراع الطبقي على الصعيدين الدولي ، والإقليمي، ورفع مسألة الإنساني بديلا جديد عنها من أجل نظام دولي مزمع.

وبالتوافق مع الاستجابة الواقعية للنضال العربي المعاصر- لا سيما بعد احتلال العراق، وعودة الاستعمار الكلاسيكي إلى أرض العرب- لم يبق أمام العرب، والأمة العربية أهم من التمسك بالفكرة العروبية ورابطتها العاطفية، والعقلية حتى ترتفع استجابة الأمة المطلوبة إلى مستوى تحدياتها الكبيرة من استعمارين بآن معا.

كذلك لم تعد الحركة القومية حركة الطبقات ، والفئات، والشرائح المحددة من الأمة، بل أصبح المضمون الاجتماعي الجديد للحركة القومية، ولتجسيدها العملي هدف الوحدة العربية يتسع ليشمل مجموع الأمة العربية بقواها السياسية، والاجتماعية، والروحية، فالمعركة العربية الراهنة معركة وجود، وتحرر من

الاستعمار، والاستغلال للثروات العربية فلا بد من الوقفة المشتركة للجميع، ومن التحالف والتآزر والتعاضد.

ولئن كانت عقيدة البعث تفترض الالتزام الإيديولوجي المعبر عن مصالح الجماهير كطريق ممكن نحو الوحدة العربية في الفترة التي أشرنا إليها- أي زمن إعداد بعض منطلقاته النظرية- فإن الإيديولوجية الوحيدة الممكنة التطبيق اليوم هي روحية الأمة الواحدة، وجوامعها المشتركة، ومنظومة العمل العربي المشترك على أسس التضامن العربي، أو أي شكل من أشكال التنسيق أو الوصول إلى أعلى شكل للعمل العربي بالوحدة. أما الإيديولوجية الكلاسيكية أو الجماهير المنظمة، أو المكونة تكوينا سياسيا سليما لا تعدو اليوم كونها عنصرا من عناصر العمل القومي، الوحدوي الناجح، أما الحامل التاريخي الذي كان يتمثل فيها ، أو تتمثل فيه فقد تحول بصورة موضوعية إلى مجموع الأمة وقدراتها المتعاضدة.

وكان البعث قد عرض تصوراته لدولة الوحدة، أو دولة العرب المنشودة بأنها لن تكون ضربا للدول القومية التقليدية التي قامت على أساس قومي مجرد، فالوحدة في تحققها لابد أن تصنع معها الاشتراكية باعتبارها سوف تتصدى لأعدائها الذين هم أعداء الاشتراكية كذلك.

وفي عصرنا الحاضر تتخذ هذه الموضوعية في التحقق المزدوج للوحدة والاشتراكية صورتها الجديدة خاصة بعد أن أصبحت الاشتراكية محددة بالوظائف الاجتماعية للدولة بما يؤمن العدل الاجتماعي، والضمان، والتخفيف على المجتمع في التعليم ، والصحة، والسكن، والعمل.

كذلك أكد البعث على أن الوحدة العربية لم تعد مجرد التحقيق لماض سلف، بل أصبحت ضرورة مباشرة في معركة الوجود العربي ضد الاستعمار بشكليه: القديم والجديد وضرورة مباشرة ضد التجزئة، والتخلف، والتبعية بوصفها المناخ الطبيعي الذي يعيش فيه الاستعمار الجديد أيضا.

وعليه فالثقل الكمي، والنوعي لدولة الوحدة العربية المنشودة هو الكفيل الوحيد بتصفية الاستعمار بشكليه، والوقوف بوجه المشروع الصهيوني، الاستيطاني، العنصري وافشاله.

وباعتبار أن سمة التكتلات الاقتصادية الكبرى أخذت منذ وضع الحزب بعض منطلقاته النظرية في عام 1963 تطبع صورة الاقتصاد الدولي يصبح الجانب الاقتصادي العربي في ظل الوحدة العربية مهيئا لاقتصاد الأبعاد الكبيرة، وللتكامل الاقتصادي العربي الذي

يستطيع أن يلعب الدور القومي المطلوب منه إزاء عصر التكتلات الاقتصادية الكبرى على صعيد العالم، وهذا هو الحل الطبيعي للإفلات من التبعية للدول المستعمرة. لا سيما في اقتصاد العولمة الراهن، وطبيعة استحواذه على ثروات الشعوب، ومصادر خيراتها.

وبذلك تكون الوحدة العربية ليست خلاصا قوميا فحسب بل هي خلاص اقتصادي، اجتماعي، وقضاء على مظاهر التخلف كافة، والتبعية بغاية اللحاق بركب الحضارة العالمية المعاصرة، وعولمتها الحاضرة، والقادمة.

وحرص البعث دوما على تأكيده أن العرب أمة واحدة، ولذا فإن الوحدة العربية يجب أن تكون وحدة كاملة في المراحل المتقدمة للنضال الوحدوي... وقد رأى البعث في حماسه للوحدة أن الشكل الكلاسيكي للاتحادات قد يكون الشكل الذي يتناسب مع دول ذات أمم متعددة، وقد يكون مجرد مرحلة، وخطوة نحو الوحدة الشاملة.

وقد نبه البعث من الاتحاد الفيدرالي إذا أصبح خاتمة للتطور الوحدوي باعتباره سوف يحافظ على رواسب التجزئة والإقليمية فلا يحقق حلم الشعب بدولة الوحدة الدولة الأمة.

ولكي يبرز البعث مفهومه لنظام الوحدة الذي يشرع له أوضح رغبته في تطبيق اللامركزية، أو الحكم الذاتي في دولتها باعتباره التطبيق العملي للشكل الأمثل من الديمقراطية السياسية، إلا أن البعث قد اعتبر أن الخارطة الحالية للوطن العربي تكرس الكيانات الحالية، ومن المفروض أن لا تعتبر هذه الكيانات الحالية أزلية، أو طبيعية، بل يجب النظر إليها على أنها كيانات راهنة يتقرر وضعها على ضوء النموذج الوحدوي المأمول.

ويعترف البعث في مجمل تحليله للواقع العربي، وللوقائع القائمة فيه أن التجزئة الطويلة قد خلقت ظروفا إقليمية متنوعة وتفاوتا ملحوظا في التطور في جوانب الحياة كافة، وعلى البناء الوحدوي أن يستوعب هذا التفاوت بغاية تصفيته تدريجيا عن طريق التفاعل بين الأقطار العربية باعتباره الطريق العملي الوحيد للصهر.

وهنا يبدو لنا حلم البعث الكبير بأن الوحدة العربية يجب أن تكون وحدة كاملة، ومحققة بأبعد معاني تحققها وهذا التصور الوحدوي رغم مشروعيته إلا أنه يصبح بعيدا في ظل الظروف الحاضرة للدولة القطرية المتجذرة، وعليه فالوحدة في الرؤى الجديدة كما انتهت من فكرة التماثل بين الأنظمة العربية - أي وحدة التماثل -لتصبح وحدة واقع الحال العربي بتنوع أنظمته ، وجوانب تطوره العام، ها هي تنتهي من فكرة الصهر الرومانسية لتبقى عند أية صورة ممكنة للتحقق. وتكون به قد جسدت المعجزة العربية المحلوم بها.

وبالمحصلة يركز البعث نظرته إلى الوحدة وأشكال تحققها في إمكانية أن تتحقق على مراحل، وهذه المرحلية في تحقيق على الوحدة الشاملة ما دامت ناجمة عن بعض الظروف الموضوعية للنضال العربي، وليست الوحدة لا تشكل خطرا على القضية القومية الشاملة عندما بأساليب، ونظريات شبه إقليمية، وانفصالية اكتفاء . فالوحدة الجزئية تصبح خطرا تتحول إلى بديل عن الوحدة القومية الشاملة. في حين أنها خطوة في طريق الوحدة الشاملة حين تمثل الممكن التاريخي لإيجاد ظروف جديدة تساعد على تواصل الخطوات الوحدوية بين قطرين أو أكثر تمهيدا.



منشورات صدرت ضمن هذه السلسلة